

ماذا يمكن أن يعلّمنا كأس العالم عن التواضع الثقافي؟



الثلاثاء 23 يونيو 2026 07:00 م

توضح الكاتبة شاندر ديفيس أن كأس العالم لا يقتصر على كونه بطولة رياضية تجمع أفضل المنتخبات، بل يمثل مساحة إنسانية تكشف تحولات عميقة في مفاهيم الهوية والانتماء والتنوع الثقافي. ومن خلال متابعة المباريات، تلاحظ الكاتبة كيف يدفع هذا الحدث العالمي ملايين المشاهدين إلى إعادة النظر في تصوراتهم المسبقة عن الشعوب والثقافات، ما يفتح الباب أمام فهم أوسع وأكثر إنصافاً للعالم المعاصر.

ونشر موقع سايكولوجي توداي هذا المقال الذي يناقش مفهوم "التواضع الثقافي" وعلاقته بالتغيرات الاجتماعية التي أفرزتها الهجرة والعولمة والتنوع العرقي. كما يستعرض كيف تكشف بطولة كأس العالم عن تعقيد الهوية الوطنية وتدفع الأفراد إلى مراجعة افتراضاتهم حول العرق والثقافة والانتماء.

كأس العالم يكشف تحولات الهوية والانتماء

تقول الكاتبة إن أكثر ما يجذبها في بطولة كأس العالم ليس الأهداف أو المنافسة على اللقب، بل رؤية شعوب العالم تجتمع في مساحة واحدة وتعكس واقعاً إنسانياً متغيراً وقد لاحظت خلال حديثها مع بعض أفراد عائلتها دهشتهم من وجود لاعبين سود أو ذوي أصول متعددة يمثلون منتخبات كانوا يعتقدون أنها متجانسة عرقياً.

لم تصدر تلك التعليقات بدافع العدا، بل عبرت عن مفاجأة حقيقية. لكن المفاجأة الأكبر بالنسبة للكاتبة كانت دهشتها من استمرار هذه التصورات لدى بعض المشاهدين. فالمتابعون الدائمون لكرة القدم الدولية اعتادوا منذ سنوات رؤية منتخبات تعكس التنوع الثقافي والعرقي الناتج عن الهجرة والعولمة وتداخل المجتمعات.

وتؤكد الكاتبة أن ما يظهر في كأس العالم لا يعبر فقط عن تطور في عالم الرياضة، بل يكشف تحولاً أوسع في فهم البشر للهوية الوطنية والانتماء. فالكثير من الناس ما زالوا يربطون بين الجنسية والمظهر الخارجي أو لون البشرة أو الأصل العرقي، بينما تكشف المنتخبات الحديثة أن الواقع أكثر تعقيداً من هذه التصورات التقليدية.

فعندما يشاهد الجمهور لاعبين يندرون من أصول مختلفة لكنهم يمثلون بلداً واحداً، يواجه كثيرون معلومات جديدة تتحدى أفكاراً راسخة لديهم. ويصف علماء النفس هذه الحالة بالتناثر المعرفي، أي الشعور بعدم الارتياح عندما تتعارض المعلومات الجديدة مع المعتقدات السابقة. لكن هذا الشعور قد يتحول إلى فرصة للتعلم والنمو الفكري.

التواضع الثقافي بديلاً للأحكام المسبقة

تشرح الكاتبة أن مفهوم التواضع الثقافي ظهر بوصفه بديلاً لفكرة "الكفاءة الثقافية". فبدلاً من الاعتقاد بإمكانية الإحاطة الكاملة بثقافة الآخرين، يدعو هذا المفهوم إلى التعلم المستمر والانفتاح والتأمل الذاتي والاعتراف بحدود المعرفة الشخصية.

ويشجع التواضع الثقافي الأفراد على التعامل مع الاختلاف بدافع الفضول لا اليقين المطلق. لذلك لا يركز على إزالة الشعور بالمفاجأة، بل يدعو إلى فهم أسبابها. فعوضاً عن التساؤل حول سبب وجود لاعبين من خلفيات متنوعة في منتخب معين، يصبح السؤال الأهم: ما الافتراضات التي كنت أحملها عن هذا البلد منذ البداية؟

وتؤكد الكاتبة أن هذا التحول البسيط في طريقة التفكير يغير كثيراً من طريقة فهمنا للآخرين. فالهويات الإنسانية لا تخضع لقوالب جامدة، بل تتشكل عبر تداخلات معقدة تشمل التاريخ والهجرة والأسرة والثقافة والتجارب الشخصية. وقد ينتمي الفرد إلى أكثر من قصة

ثقافية في الوقت نفسه دون أن يقلل ذلك من انتمائه الوطني

كما تدعو إلى تجنب اختزال الأشخاص في خلفياتهم الثقافية أو مطالبتهم بتمثيل جماعات كاملة فالفرد لا يعبر عن ثقافة بأكملها، بل يعبر عن تجربته الخاصة داخل تلك الثقافة ولذلك يصبح الاستماع إلى الطريقة التي يعرّف بها الناس أنفسهم أكثر أهمية من التصنيفات التي يفرضها الآخرون عليهم

التنوع الثقافي وبناء مجتمعات أكثر تفهماً

ترى الكاتبة أن أهمية التواضع الثقافي تتجاوز حدود الرياضة لتشمل جميع مجالات الحياة فعندما يتعلم الناس الإصغاء للآخرين دون أحكام مسبقة، تتحسن العلاقات الإنسانية وتضعف الصور النمطية ويزداد التعاطف المتبادل

وتشير الدراسات النفسية إلى أن رؤية أشخاص متنوعين يشغلون مواقع بارزة تؤثر في إدراك الأفراد لمعنى الانتماء وإمكانية النجاح وعندما يشاهد الأطفال رياضيين يشبهونهم يمثلون دولاً مختلفة على أكبر مسرح رياضي في العالم، تتوسع رؤيتهم لما يمكن أن يكونوا عليه وما يمكن أن يحققوه مستقبلاً

ويكتسب هذا الأمر أهمية خاصة في عالم يشهد ارتفاع معدلات الهجرة وتزايد حالات الجنسية المزدوجة وانتشار الأسر متعددة الأعراق والثقافات فهذه الظواهر لم تعد استثناءً، بل أصبحت جزءاً من الواقع العالمي المعاصر ويجعل كأس العالم هذه التحولات أكثر وضوحاً أمام الجمهور، إذ يعرض نماذج حية لهويات متعددة ومركبة داخل إطار وطني واحد

ولا تنكر الكاتبة استمرار الجدل حول قضايا العرق والمواطنة والهجرة والانتماء في كثير من المجتمعات، لكنها ترى أن البطولة توفر فرصة نادرة لمراقبة هذه القضايا وفهمها بصورة أعمق فكل مباراة تمنح المشاهدين فرصة لإعادة التفكير في تصوراتهم عن الآخرين واكتشاف أن الهوية الإنسانية أكثر ثراءً وتعقيداً من الصور النمطية الشائعة

وتخلص الكاتبة إلى أن أعظم دروس كأس العالم قد لا تكمن في النتائج أو الألقاب، بل في قدرته على تكبير البشر بأن الانتماء أوسع من المظهر الخارجي، وأن فهم الآخرين يبدأ بالفضول والرغبة في التعلم ومن هنا يبرز التواضع الثقافي بوصفه أداة أساسية لبناء مجتمعات أكثر احتراماً وتقبلاً للتنوع في عالم يزداد ترابطاً يوماً بعد يوم

<https://www.psychologytoday.com/us/blog/communal-healing/202606/what-the-world-cup-can-teach-us-about-cultural-humility>